

كتاب الشهر

فارس إشتي مقيماً دور الأساتذة وراسماً مستقبل العمل النقابي في عيدها الـ70... الجامعة اللبنانية بين الإنجازات والتحديات

منذ تأسيسها والجامعة اللبنانية في صلب النقاش السياسي والهمم والوطني، والاهتمامات متمحورة حول تطوير هذا الصرح الأكاديمي وترسيخ أسسه، بصفته مصنع النخب والكوادر الاتية من أبناء الشعب والطبقة الوسطى

في هذا الكتاب يتناول الأكاديمي فارس إشتي ما حققه اساتذة الجامعة اللبنانية من إنجازات لهم ولها من خلال عملهم النقابي. "التشكل النقابي لاساتذة الجامعة اللبنانية" ("مكتبة بيسان") كناية عن جردة حساب لتاريخ الرابطة، تتضمن درجة عالية من النقد الذاتي، وتقدّم اقتراحات لبلوغ الاهداف الوطنية التي وضعتها لنفسها.

انطلاقاً من مقولة العلامة عبد الله العلايلي "من نقد علي كمن ألف معي"، يعتبر الباحث والاساتذ الجامعي المتقاعد فارس إشتي في كتابه "التشكل النقابي لاساتذة الجامعة اللبنانية — حدود الربط والحل" ان "النقد الموجه الى الرابطة او الجامعة هو محاولة لتطوير كل منهما". بهذا التمهيد، يستهل كتابه الجديد الذي يؤرخ لراهصات التشكل النقابي في الجامعة اللبنانية التي مضى على تأسيسها سبعون عاماً، فيما مضى على اول تحرك نقابي فيها نصف قرن.

الكتاب يجمع بين السياسة والتاريخ وعلم الاجتماع، في مقاربة جهاز نقابي وفعاليتها والمفترقات المفصلية التي مر فيها، والاهداف التي حققها، والامال التي وضعها، والاختفاقات التي مني بها ايضا.

في المحصلة، قراءة هذا الكتاب المهم والمرجعي لتاريخ الحركة النقابية في الجامعة اللبنانية، تجعلنا نخلص الى ان الجامعة - والرابطة ضمنها - لم تكن سوى بحيرة تعكس بنية النظام والمجتمع والتشوهات البنيوية والافات السياسية والتوازنات الكثيرة التي لعبت دوراً في هذه الاختفاقات. الباحث المتفرس الذي افنى عمره في اروقفة الجامعة، بدأ طالباً ثم اساتذاً وناشطاً في اطرها النقابية قبل تقاعده، يعرف مفاتيحها واشكالاتها

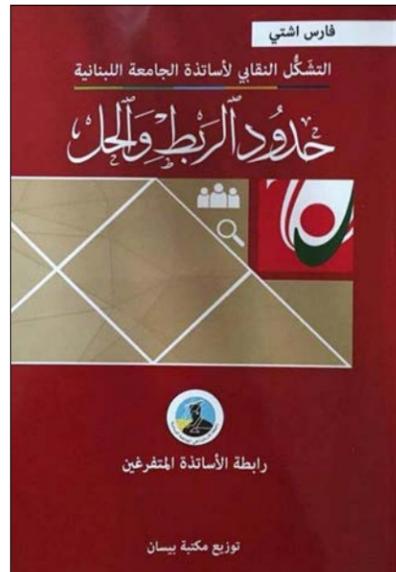
الى حين استصدار قانون الجامعة الذي صدر فعلاً بعد يومين من الاضراب الذي دعمه الطلاب. يورد المؤلف هنا نقلاً عن الاستاذين في الجامعة نزار الزين وجورج طعمة وجود اتجاهين بين الاساتذة: الاول مثله رئيس الجامعة فؤاد افرام البستاني ومعه اساتذة كلية الاداب وتمثل في عدم تحمسهم للاضرابات في سياسة الضغط لنيل المطالب "بخاصة ان الضاغطين، اساتذة وطلاباً، كانوا من الاتجاه اليساري المناوئ له في السياسة والهمم الأكاديمي". اما التيار الثاني، فقد مثله اساتذة العلوم والحقوق والعلوم الاجتماعية واليساريون من الكليات الاخرى الذين قادوا التحركات الاضرابية لتحقيق المطالب. وعرف عن غالبيتهم الاتجاه اليساري، سياسياً، والهمم الأكاديمي العلمي، جامعياً، فعملوا على تأسيس اطار نقابي لاساتذة اللبنانية.

طبعاً، يوضح الباحث ان هذا التباين بين التيارين، لم يمنع الاثنين من التعاون والتكامل في عملهما من اجل الاساتذة والجامعة على حد سواء. هكذا، تشكلت رابطة الاساتذة رسمياً، واعلنت بيانها الاول في 14 ايار 1975 بعد حوالي شهر على اندلاع الاشتباكات العسكرية. كان طبيعياً في الحرب التي استمرت 15 عاماً، وشلت كل مفاصل الحياة اللبنانية، ان تعيق حركة الرابطة ومشاريعها واهدافها، ولو انها نجحت في تحقيق عدد من الاهداف خلال تلك السنوات السود. مثلاً، يحدد المؤلف مرسوم دخول 1074 استاذاً في ملاك الجامعة عام 1988 بعدما كان اخر ادخال لهم عام 1972 وقد اقتصر على 72 استاذاً. هنا يشير الى ان "هيئة التحرك لاساتذة الجامعة" التي حققت هذه المطالب، كان عصبها الاساسي اركان الرابطة اي: نزار الزين وصادر يونس وجيلبير عاقل. علماً ان هيئة التحرك تشكلت من "نقابيين ويساريين

متعددي المنبت، وكان هذا التحرك تأسيسياً في العمل الجمعي لاساتذة. من انجازات الرابطة ايضاً، خلال الحرب الاهلية اللبنانية، فتح فرع لادارة الاعمال في عاليه عام 1986 والعمل لفتح فرع لمعهد الفنون في دير القمر. جاءت مرحلة السلم واتفاق الطائف لتعيد خلط اوراق الرابطة، وتعيد تنظيم هيئاتها مع بروز تحديات جديدة تمثلت في زيادة عدد الكليات وقيام فروع للكليات في المناطق ابان الحرب، ما فرض تعديلات على نظامها الداخلي ارتضى بها الاساتذة.

يتوقف الباحث عند انتماءات اعضاء الرابطة الاجتماعية والطبقية والمناطقية، فيشير الى انهم ينتمون الى الطبقة الوسطى، وهم في الغالب "ابناء فلاحين او موظفين او تجار صغار". واوضح ان غالبية الاساتذة هم من الذكور يتركز معظمهم في العاصمة الاولى (37.5%)، والثانية (35%)، ثم الثالثة (الشمال - 12.8%)، والرابعة (البقاع 7.2%)، والخامسة (الجنوب 7.9%). اما الثلث العددي، فيكمن في كلية الاداب ثم العلوم الطبية. رغم الاستقلالية العلمية والمالية والادارية لجامعتهم، الا ان الواقع يشي بغير ذلك، خصوصاً بعد اتفاق الطائف بحسب المؤلف. اذ دخلت عوامل كثيرة في آلية اتخاذ القرار في الرابطة اولها "التنوع الطائفي لاساتذة في ظل انحكام البلد بالطائفية، ما يقود الى تأثر الاساتذة بمرجعياتهم الطائفية، قناعة او منفعة".

بعدما كان المؤسسون من اليساريين وذوي الخبرة في العمل النقابي، وهم الذين نجحوا في تأسيس الرابطة رغم الاحتدام السياسي السائد في المجتمع، كما نجحوا في تجنب الرابطة انقسامات الحرب وتعاملوا بانفتاح مع المستجدات (اقامة الفروع) وتعاونوا معها على قضايا الجامعة (المجالس، محاربة الفساد، زيادة الرواتب...)، جاءت مرحلة ما بعد الطائف والسنوات الاخيرة لتفرض واقعا جديداً. دخلت الاحزاب اللبنانية - الطائفية بمعظمها - الى تركيبة الرابطة، ما ادى الى لعبة توازنات بعيدة ربما عن هموم وانشغالات الاساتذة والاهداف الوطنية



غلاف الكتاب.

الجامعة اللبنانية بحيرة تعكس بنية النظام والمجتمع والآفات السياسية

والتربوية والعلمية المنشودة للجامعة. لكن ما كانت حصيلة هذه المتغيرات؟ هل هذا يعني ان لا انجازات نجحت الرابطة في تحقيقها رغم كل الافخاخ السياسية؟ لا يقدم الباحث خلاصة سوداوية عن انجازات الرابطة، ولو انه كان يأمل في ان يتعدى دورها الاهتمام بمصالح الاساتذة فقط. اذ يرى ان الرابطة نجحت في "تحسين الوضع الاجتماعي لاساتذة، راتبا وخدمات، لكنها لم تفلح في احداث خرق مواز في تدعيم الجامعة عبر رفع مستواها وتقوية دورها الطبيعي في التعليم والبحث العلمي". في ظل هذا الواقع، يبرز سؤال الى الواجهة: هل نجاح التشكل النقابي في تحقيق مصلحة الاستاذ المالية دون النجاح في تدعيم الجامعة عائد الى طبيعة الرابطة؟ ام الى البيئة المجتمعية التي عملت فيها

هذه الرابطة؟ ينتهي المؤلف الى سلسلة خلاصات كفيلة بتوضيح هذا الاخفاق. اذ يورد ان بنية الرابطة تشبه بنى النقابات عامة، في اعتمادها على العدد في انتاج قيادتها، من دون اى اهمية للتراتبية العلمية والكفافية ومستلزمات قيام مشروع لتطوير الجامعة. حتى انها لم تلحظ في هيئاتها انشاء هيئة من نخبة الاساتذة مولجة بمهمة استحداث مشروع مماثل للجامعة.

اما العنصر الثاني، فهو يتعلق بالسلطة تحديداً. يرى إشتي ان ظروف ما قبل الحرب كانت مؤاتية لدعم الجامعة والنهوض بها، اكان ذلك في "سياسة السلطة الشهابية او في الحراك المجتمعي، فئات ونقابات (...). في حين ان ظروف ما بعد توقف الاعمال العسكرية لم تكن مؤاتية لدعم الجامعة وانهاضها، ان في طائفية تحالف القوى الحاكمة، او في تفكك البنى المجتمعية ومحاولة تغليب المكونات التقليدية (الطائفية والعشائرية والعائلية والمناطقية) فيها او في محاصرة النقابات واستيعابها او في ضعف الحراك الحزبي، وبخاصة الحامل التاريخي لمشروع بناء جامعة وطنية، او في استباحة القوى الخارجية للبلد".

هذه الصورة النهائية التي تختصر مسار رابطة الاساتذة، يقدمها استاذ خبر تاريخها وكواليسها وعُجَب بقضاياها. الا ان هذا الاخفاق، او التأخر في تحقيق الاهداف الاولى التي وضعتها الرابطة لنفسها، لا يعني ان الامور جامدة وبالتالي يجب الركون للوضع القائم والاستسلام الى مآلات الرابطة ووضع الجامعة اللبنانية اليوم. يرى فارس إشتي ان الرابطة ما زالت لاعبة فاعلة قادرة على التأثير ببيئتها شرط ان تعرف استخدام موقعها وقوتها، وانها تتمتع بنخبة معرفية مؤهلة وقادرة على استنباط الحلول للمشكلات. وبالتالي، فهي تملك سلاحين فعالين في استئناف دورها بوصفها احد الاعضاء الاساسية في جسم الجامعة اللبنانية، بل انها الرأس الذي توكل اليه مهمة التخطيط والتحسين والتطوير والارتقاء بالجامعة اللبنانية.